دور الأخلاق المحمدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية

تمهيد
الوحدة الإلهية والوحدة الشيطانية
الإمام الخميني وصرخة الوحدة الإسلاميّة

دور الأخلاق المحمدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية

السيد عادل العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، والصلاة علي نبيّ الرحمة محمّد المصطفى المختار ، والسلام على آله الطيّبين الأطهار ، والرضوان على صحبه الأبرار ، وأوصل اللهمّ إلى التابعين بإحسان خير جزائك[١].

أمّا بعد :

فإنّ الماء العذب هو العامل الأساسي والأصل الأوّل والعنصر الأهمّ للعالم الجسماني والحياة الطبيعيّة وديموميّتها واستمرارها ، كما في قوله تعالى :

(وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْء حَيّ)[٢].

وإنّ الأخلاق الطيّبة هي العامل الأوّل والأصل المهمّ في المجتمع الإنساني والتعايش السلمي ، المتبلور في الوحدة الإنسانية ، التي هي أُنشودة الشعوب الحرّة ، ومقصود كلّ مصلح عبر التأريخ ، وعلى مرّ العصور والأحقاب.

والوحدة ـ ويقابلها الإختلاف والشقاق والتنافر ، كما يقابلها الاثنينية والكثرة ـ ذات مفهوم وسيع متشعّب الأطراف ومترامي الجوانب ، يضمّ بين دفّتيه مضامين متفاوتة وتقاسيم متعدّدة ، فهي كالحجر المُلقى في الماء ، تتكسّر منه الأمواج دائرية الشكل ، مختلفة الأقطار ، متّسعة الأطراف ، يمكن أن نلخّصها بما يلي :

١ ـ الوحدة الفرديّة : فأُولى الدوائر وبدايتها هي الوحدة الفردية الشخصية بأن يكون الإنسان منسجم الشخصية ، من دون تلوّن وشخصيات مذبذبة ومنافقة ، تارةً إلى هؤلاء وأُخرى إلى أُولئك ، الذي يُعبّر عنه في المصطلح الإسلامي بالمنافق ، وفي علم النفس بالإنسان ذي الشخصيّة المزودجة . فكلّ فرد في المجتمع الإنساني والإسلامي لا بدّ أن يكون واحداً في شخصيّته ، كما هو واحد في شخصه ، وإن كان له أبعاد مختلفة ، فإنّ اختلافه كاختلاف النور ، فهو واحد في حقيقته ومفهومه ، بمعنى : الظاهر بنفسه والمظهر لغيره ، إلاّ أنّه كلّي مشكّك ، له مراتب طوليّة وعرضيّة ، فلا اختلاف بين نور الشمس ونور الشمعة في مفهومهما وحقيقتهما النوريّة ،

وإن كان التفاوت بينهما ما بين الثرى والثريّا ، وما بين السماء والأرض.

٢ ـ الوحدة الأُسرويّة : فإنّه إذا توسّع عندنا مفهوم الوحدة ، فقد تتكوّن لنا الدائرة الثانية من أمواج الوحدة ، وهي حكومة الوحدة في الأُسرة التي هي الخليّة الأُولى للمجتمع ، فلا بدّ من وحدة أعضاء الأُسرة وسيادة وحدة الاعتصام والتماسك بين الأفراد ، لتفوز في تدبيرها وبرنامجها العائلي وتربيتها ، وإلاّ فإنّها تبوء بالفشل والانهيار والتنافر ، ومن ثمّ الطلاق وتشتّت العائلة وضياعها ، فوحدة الأُسرة عامل مهمّ لضمانها وصيانتها وسعادتها.

٣ ـ وحدة الجورة : فإنّ الدائرة الثالثة المنعكسة من أمواج الوحدة هي الوحدة بين الجيران والمحلّة ، ويتجلّى مفهومها في مثل انتخاب شورى المحلّة ، وبناء مسجدها ومدرستها ، وما شابه ذلك . وإنّ الجوار إلى أربعين دار من الأطراف الأربعة ـ كما في الروايات الإسلاميّة ـ وتتكوّن عندنا الخليّة الثانية للمجتمع ، فكلّ واحد عليه أن يتّحد مع جاره في قضاياهما المشتركة ، بحسن التفاهم وحفظ حقوق الجوار ، والاحترام المتبادل.

٤ ـ وحدة البلد : فإنّ الدائرة الرابعة التي تخلّفها الأمواج ، هي وحدة البلد الصغير ـ كالقرى ـ والكبير ـ كالمحافظات ـ وتبرز وحدتهم في مثل الدوائر الحكومية المركزية.

٥ ـ وحدة الدولة : وهي الدائرة الخامسة ، فإنّ الدولة في قرارها الأخير لا بدّ أن تتوحّد في قواها الثلاثة ـ المقنّنة والتنفيذية والقضائية ـ وتتولّد منها الوحدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية ، فلو كانت القوى في نهاية التصميم متضاربة ومختلفة ، فإنّه يوجب انهيار الدولة وسقوطها ، فلا بدّ من الوحدة والتماسك في قرارها الأخير ، وإن كانت مختلفة الآراء والأنظار في بدايتها وفي مقام التفاوض ، فإنّه ـ بحكم العقل والنقل ـ لا بدّ من الاختلاف في الآراء والأفكار والأذواق والسلوكيّات الفردية ، ولا سيّما عند المشورة في المجلس البرلماني ، حتّى يُنال الرأي الصائب والقرار الأخير ، وحينئذ كلّ القوى تحكمها وحدة الدولة ، وإلاّ لو كانت سياسة واحدة من البداية ، واتّحد السياسيون من دون تبادل الآراء والأفكار لما وصلوا إلى ما هو الأفضل والطريق الأصوب والسياسة الفاضلة النافعة للدولة والأمّة ، ولتحجّروا وكانوا عرضةً لعواصف الحوادث ، فينباد المجتمع ويزول ، وكذلك في الثقافة وفي كلّ مجالات الحياة . فالاختلاف في البداية ، والوحدة في النهاية ، وهذا المعنى حاكم على الكون أيضاً كما سيتّضح.

٦ ـ وحدة القارّات : أو العالم الأرضي ، فإنّ لكلّ قارّة مناخها وطبيعتها وثقافتها الخاصّة ، إلاّ أنّ هناك مشتركات عالمية تستلزم وحدة الناس في الكرة الأرضية ، فلو دهم الأرض خطر فإنّ الشعوب كلّها تتّحد في دفع الخطر ، فلا تمنعها الحدود الجغرافيّة ، كخطر الإيدز في عصرنا الراهن ، فإنّ سكّان الأرض في غربها وشرقها وشمالها وجنوبها ، لا بدّ أن يتّحدوا وإن اختلفت الألوان والألسن والجنسيات والحدود والثقافات ، وهذه الوحدة العالمية لها معالم

وثقافة عالمية تضمّ المجتمع الإنساني والبشرية جمعاء في إطار واحد ، ومن معالمها وحدة المستضعفين لمحاربة الاستعمار ، والتخلّص من ذلّ الاستعباد والاستثمار والاستحمار ، ومن معالمها وحدة النضال والجهاد لرفع الفتنة في العالم.

٧ ـ وحدة الدنيا والآخرة : وهذه من المعتقدات الإسلامية ، فإنّ الإسلام العظيم دين الله القويم ، يقول بمثل هذه الوحدة ، فإنّ الحياة عنده واحدة ، بدايتها : حياة الله ، ونهايتها : إلى الله المنتهى ، وإنّما الدنيا مزرعة الآخرة ، ومتجر أولياء الله ، فإنّهم في هذه الدنيا في قوس نزولي وصعودي يصلون إلى ولاية الله سبحانه ، كما ورد في الأخبار الشريفة . وإنّما الموت رحلة ونقلة من حياة إلى حياة أبدية خالدة ، إمّا أن يسعد فيها أو يشقى :

(وَأمَّا الَّذينَ سُعِدوا فَفي الجَنَّةِ)[٣].

(فَأمَّا الَّذينَ شَقُوا فَفي النَّار)[٤].

فالدنيا والآخرة وإن كانتا على طرفي نقيض ، كما في بعض الروايات والآيات الشريفة ، على أ نّه من أراد حرث الدنيا يفقد حرث الآخرة ، ومن أراد الآخرة فإنّه يزهد في الدنيا ، ولكن هذا التناقض والتنافي : لو يرى الإنسان إلى الدنيا ويقصدها على نحو الاستقلال وبالمعنى الإسمي :

(لَيَطْغى أنْ رَآهُ اسْتَغْنى)[٥].

وأمّا إذا نظر إليها باعتبارها الحرفي والتبعي ، وأ نّها مزرعة الآخرة ومتجرها ، فإنّها تكون نقطة انطلاق إلى نعيم الآخرة وخلودها ، ولازم هذا المفهوم وهذه النظرة ، هو الوحدة بين الدنيا والآخرة ، فإنّ المؤمن دنياه آخرته وآخرته دنياه ، وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر ، ولكن من زار مؤمناً في دنياه فقد زار الله في عرشه ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ وهذا يعني أنّ جلوس المؤمن عند أخيه المؤمن ، إنّما هو في حضيرة القدس الإلهي ، وهل هذا إلاّ معنى الجنّة ونعيمها ، فإنّ الدنيا سجن قياساً بنعيم الآخرة ، وإلاّ فهي جنّة صغيرة تهون فيها المصائب والمتاعب ، إذ أ نّها بعين الله سبحانه ، ويحسّ المؤمن أ نّه في حضرة الله جلّ جلاله ، فيصبر صبر الشاكرين ، فإنّه يشكر الله على البلاء ، ويعتقد أنّ أكثر الناس بلاءً أكثرهم ولاءً . وبمثل هذه المفاهيم نعتقد بالوحدة بين الدنيا والآخرة ، ونعبّر عنها ـ إن صحّ التعبير ـ بالوحدة الإلهية[٦] ، فإنّ الإنسان المؤمن الخالص في سلوكه وتفكّره هذا ، يكون في إطار إلهي ، ومن حزب الله الغالب ، ويستثمر دنياه لآخرته : كما ورد في القرآن الكريم.

(رَبَّنا آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّار)[٧].

« وليس منّا من ترك دنياه لآخرته وآخرته لدنياه » كما ورد في الخبر الشريف.

[١]جاء في الصحيفة السجّادية من دعاء الإمام السجّاد علي بن الحسين (عليهما السلام) لأتباع الرسل قائلا :

« اللهمّ وأصحاب محمّد خاصّة الذين أحسنوا الصحابة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجّة رسالاته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوّته ، وانتصروا له ، ومن كانوا منطوين على محبّته ، يرجون تجارةً لن تبور في مودّته ، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلّقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظلّ قرابته ، فلا تنسَ لهم اللهمّ ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك ، وبما حاشوا الخلق عليك ، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك ، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم ، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ، ومن كثرت في إعزاز دينك في مظلومهم ، اللهمّ وأوصلِ إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون (رَبَّنا اغْفِرْ لَنا وَلإِخْوانِنا الَّذينَ سَبَقونا بِالإيْمانِ) خير جزائك ... ».

[٢]الأنبياء : ٣٠.

[٣]هود : ١٠٨.

[٤]هود : ١٠٦.

[٥]العلق : ٦.

[٦]وهذه غير وحدة الوجود التي يقولها بعض المتصوّفة والحكماء ، على أنّ الخلق حباب البحر ، في النهاية يرجع إلى بحر الوجود الربوبي الذاتي ، فيتّحد معه عزّ وجلّ ، حتّى يقول زاعمهم : أنا الحقّ وليس في جبّتي إلاّ الله ، الذي يستلزم الكفر على بعض الوجوه ، كما هو ثابت في محلّه.

[٧]البقرة : ٢٠١.

الوحدة الإلهية والوحدة الشيطانية

هذا ويمكن أن نقسّم الوحدة باعتبار آخر ، إلى وحدة رحمانية ووحدة شيطانية ، وذلك حسب المفهوم المتجلّى فيهما ، فإنّها لو كانت بطابع إلهي ، ويُسند إلى الله سبحانه وإلى السماء ، فإنّها وحدة رحمانية ، كالوحدة الدينية ، فإنّ الدين من الله عزّ وجلّ ، وإن كانت تستمدّ مفهومها من الأرض ومن أصحاب الأهواء ووليّهم الشيطان ـ كالوحدة في اللغة أو القوم ـ كالوحدة القومية أو الوحدة العربية التي يطبّل لها دعاة الأحزاب الشيطانية ، فإنّها من الوحدة الشيطانية ، ومروّجيها ودعاتها بألفاظ خلاّبة فارغة ، هم شياطين الإنس.

وأمّا الذين يدعون إلى الوحدة الدينية أو الوحدة العلمية مثلا ، فإنّهم سفراء الرحمن وأُمناء الله في الأرض ، وقادة الإصلاح في المجتمع ، كالأنبياء والأوصياء وورثتهم من العلماء الصالحين.

والإسلام دين الله القويم :

(إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامَ)[١].

إنّما هو دين الأنبياء ورسالة السماء السمحاء ، قد تكفّل بنشرها وحكومتها في الأرض الرسل والأنبياء ، فكلّ واحد منهم كان مسلماً حنيفاً ، إنّما جعل الله له منهجاً وشرعةً :

(لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً)[٢].

وذلك حسب مقتضيات الزمان ، فالشرائع السماوية اختلفت ، ونسخت الأُولى بالثانية ، ولكن إنّما نزلت الأُولى لمطابقة الحال ، فالإنسان في العصر الحجري شريعته السماوية تطابق حاله ، وحينما يصل التمدّن الفرعوني إلى قمّته في أهرامه وشكله الهندسي ، وفي تعلّم السحر ، فإنّ شريعة النبيّ موسى (عليه السلام) تكمل السير والشوط الإنساني ، وتخرج الناس من الضلال إلى الهُدى ومن الظلام إلى النور ، فتلقف حيّته ما يسحرون ، وهكذا حتّى عصر خاتم النبيّين محمّد (صلى الله عليه وآله) ، فإنّ الشرائع السماوية قد كملت بالدين الإسلامي :

(اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ ديناً)[٣].

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)[٤].

فالأديان السماوية متّحدة في تسليمها إلى البارئ سبحانه وتعالى ، وهذا هو المفهوم من الوحدة الإسلامية بالمعنى الأعمّ ، فكلّ واحد من أتباع الأديان ومعتنقيها ، ندعوهم إلى كلمة سواء بيننا وبينهم

كما في قوله تعالى :

(قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَة سَواء بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ)[٥].

وأمّا الوحدة الإسلامية بالمعنى الأخصّ ، فالمقصود منها وحدة المذاهب الإسلامية وأنصارها في عصرنا هذا ، أمام أعداء الإسلام.

والنبيّ الأعظم سيّدنا محمّد منقذ البشرية (صلى الله عليه وآله) قد دعى العالم والأمم إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، ولكن أخبر بوحي من ربّه بالإنقلاب على العقب بعد رحلته ، وأخبرنا باختلاف أمّته إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وحذّر هذا الاختلاف وذمّه ، وأنّ الفرقة الناجية واحدة ، لأنّ الحقّ واحد ، والباقية من الهالكين يوم القيامة.

والمسلمون وإن تعدّدت مذاهبهم في الأُصول والفروع ، وكلّ واحد يدّعي أ نّه الفرقة الناجية ، ولكن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد أوضح سبيل الحقّ وبيّن الفرقة الناجية ، وذكر أوصافها ومعالمها كما في حديث الثقلين وحديث السفينة ، ولكن إنّما يعلم ذلك وينكشف بانكشاف أتمّ ، يوم تُبلى السرائر ، ويوم يقوم الأشهاد إلى ربّ العالمين ، يوم يدعى كلّ إنسان بإمامه ، فتفويض الأمر إلى الله سبحانه يومئذ :

(وَقِفوهُمْ إنَّهُمْ مَسْؤولونَ)[٦].

ولكن في هذه الحياة الدنيا التي نعيش فيها ، لا بدّ من الاتّحاد عند مداهمة الخطر الموحّد ، وهناك عوامل كثيرة للوحدة وعدم الفرقة ، لنكون يد واحدة ضدّ الكفر ، لا سيّما وأمامنا أعداء الإسلام من الاستكبار العالمي والاستعمار والصليبية والكفر والإلحاد من الشيوعية والرأسمالية والصهيونية والماسونية وأذنابهم وعملائهم في البلاد الإسلامية ، كبعض الملوك الفَسَقَة ورؤساء الجمهوريات الخَوَنَة.

وحينما ننظر إلى كلمة الاختلاف في القرآن الكريم والروايات الشريفة نجد :

(كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرينَ وَأنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فيما اخْتَلَفوا فيهِ وما اخْتَلَفَ فيهِ إلاّ الَّذينَ أُوتوهُ)[٧].

(وَما كانَ النَّاسُ إلاّ أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفوا)[٨].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) : كانوا قبل نوح أُمّة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالا فبعث الله النبيّين[٩].

(وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلـكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ في ما آتاكُمْ)[١٠].

(وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلـكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ في رَحْمَتِهِ وَالظّالِمونَ ما **لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصير**)[١١].

والله سبحانه واجب الوجود لذاته ، مستجمع جميع صفات الكمال والجلال والجمال ، وهو الخير المحض ، فإنّ الوجود خير والشرّ أعدام ، وهو يدعونا إلى الصلح في قوله تعالى :

(وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)[١٢].

والصلح إنّما هو مظهر من مظاهر الوحدة ، وأمّا الاختلاف والشقاق والفرقة ،
فإنّما هو من فعل الشيطان وأعوانه من الطواغيت والظالمين ، فإنّهم يفرّقون الناس شِيعاً وأحزاباً :

(إنَّما يُريدُ الشَّيْطانُ أنْ يوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضاءَ)[١٣].

وأمثال فرعون الطاغوت يجعل الأُمّة فرقاً وشيعاً :

(إنَّ فِرْعَوْنَ عَلا في الأرْضِ وَجَعَلَ أهْلَها شِيَعاً)[١٤].

هذا قبل الإسلام ، وأمّا عند بزوغ شمسه في الآفاق ، فقد قال سبحانه وتعالى :

(إنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ واحِدَةٌ وَأنا رَبُّكُمْ فَاعْبُدونِ)[١٥].

(وَأنا رَبُّكُمْ فَاتَّقونِ)[١٦].

وقد أمرنا الله أن نعتصم بحبله :

(وَاعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلا تَفَرَّقوا وَاذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أعْداءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلوبِكُمْ فَأصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إخْواناً)[١٧].

(وَلا تَكونوا كَالَّذينَ تَفَرَّقوا وَاخْتَلَفوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ وَأُولـئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ)[١٨].

فالاختلاف من الشيطان وحزبه وأزلامه ، وإنّما كان ذلك للامتحان والفتنة ،
شاء الله ذلك بحكمته وعلمه ، ولكن لا بدّ أن نعرف الحقّ فنتبعه ، ولا نستوحش في طريق الهدى من قلّة أهله ، فإنّ أكثر الناس لا يفقهون ، ولا يعلمون ولا يشكرون كما ذكرهم الله في كتابه الكريم ، ولكن مع هذا لا بدّ أن نتّحد مع البشرية لو دهمها خطر الاضمحلال ، ونتّحد مع المستضعفين أمام المستكبرين ، ومع الموحّدين أمام المشركين والملحدين ، ومع المسلمين أمام اليهود والصهاينة ، ومع المؤمنين أمام المنافقين والمخالفين.

واليوم إنّما ندعو المسلمين إلى الوحدة الإسلامية أمام خطر الاستعمار والاستكبار العالمي والصهيونية العالمية وهيمنتها ، وبعد تطهير الأرض من رجسهم وقطع أياديهم الخبيثة عن بلاد المسلمين وثرواتهم ، ندعوهم إلى ما هو الحق ، ونقتدي في سلوكنا بالنبيّ

الأكرم حيث كان يدعو لأمّته بالهداية لأ نّهم لا يعلمون : « رَبِّي اهْدِي قَوْمَي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ ».

فندعو لجميع المسلمين بالهداية ما داموا لا يعلمون ، ندعو بذلك لهم في حياتهم ، فإنّهم قوم مستضعفون وبحكم الجاهل القاصر.

---

[١]آل عمران : ١٩.

[٢]المائدة : ٤٨.

[٣]المائدة : ٣.

[٤]آل عمران : ٨٥ .

[٥]آل عمران : ٦٤.

[٦]الصافّات : ٢٤.

[٧]البقرة : ٢١٣.

[٨]يونس : ١٩.

[٩]ميزان الحكمة ٣ : ٧٠.

[١٠]المائدة : ٤٨.

[١١]الشورى : ٨ .

[١٢]النساء : ١٢٨.

[١٣]المائدة : ٩١.

[١٤]القصص : ٤.

[١٥]الأنبياء : ٩٢.

[١٦]المؤمنون : ٥٢.

[١٧]آل عمران : ١٠٤ . وذكرت السرّ في آية الاعتصام في رسالة (السرّ في آية الاعتصام) ، فراجع.

[١٨]آل عمران : ١٠٥.

الإمام الخميني وصرخة الوحدة الإسلاميّة

ومن رجال الإصلاح وأرباب الوحدة الإسلامية ، الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية في عصرنا هذا ، فإنّه منذ البداية كان يدعو المسلمين إلى الوحدة ، ودوّت صرخته في العالم في مظاهرات مليونية تهتف : (يا أيّها المسلمون اتّحدوا اتّحدوا).

ومن كلماته الخالدة :

« لماذا لا يهتمّ المسلمون وحكوماتهم بالأحاديث النبويّة الكريمة التي جاء فيها : (المسلمون يدٌ على مَن سواهم) ؟ لماذا لا يوجد بينهم إلاّ الاختلاف المستمرّ ، إنّ مشكلة المسلمين هي نشوب الاختلافات بينهم بعد الحرب العالمية ، فقد وضع المستعمرون خطّة الاختلاف لهم بعد أن شاهدوا قوّة الإسلام ففصلوا الحكومات الإسلامية عن بعضها ، وألقوا الخلاف بين المسلمين وجعلوا الحكومات الإسلامية كلّ واحدة عدوّة للأُخرى ، يجب حلّ هذه المشكلة في يوم العيد وفي يوم عرفة في بيت الله ، حيث ينبغي أن يجتمع الحكّام في مكّة المكرّمة ، لإطاعة أمر الله تبارك وتعالى وطرح المشاكل المتعلّقة بهم والتغلّب عليها ، وإذا تمّ هذا الأمر لا تتمكّن أيّة قوّة من مواجهتكم ».

« إنّ القوى الكبرى درست خلال سنوات طويلة كلّ أوضاع المسلمين ، أجرت دراسات على الأفراد والجماعات وعلى أراضينا وغاباتنا وخرجت بنتيجة ، هي : أنّ الإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقف بوجه هذه القوى في جميع المجتمعات ، وراحت هذه القوى تخطّط لمجابهة الإسلام عن طريق الحكومات الفاسدة ، وأوعزت إلى هذه الحكومات أن تثير مسائل العصبيّات العنصريّة بين المسلمين ، فجعلت العرب مقابل الفرس والأتراك ، وجعلت الفرس مقابل الأتراك ومقابل الآخرين ، وهكذا أوقعت بين القوميات المختلفة ، ولقد أكّدتُ مراراً إنّ هذه النعرات القوميّة هي أساس مصيبات المسلمين ، إذ أنّ هذه النعرات تجعل الشعب الإيراني مقابل سائر الشعوب المسلمة وتجعل الشعب العراقي مقابل بقيّة المسلمين ، وهذه المخطّطات طرحها المستكبرون للتفريق بين المسلمين »[١].

« النعرات القومية التي تثير العداء بين المسلمين وانشقاق بين صفوف المؤمنين تعارض الإسلام وتهدّد مصالح المسلمين ، وهي من مكائد الأجانب الذين ليزعجهم الإسلام وانتشاره »[٢].

« القوى الكبرى تستهدف فرض السيطرة على المسلمين ونهب أموالهم وثرواتهم الطائلة ، وبثّ التعصّب القومي في المنطقة ، أحد المخطّطات التي تنفّذها تلك القوى منذ أمد بعيد لتحقّق أهدافها . لقد جاء الإسلام ليوحّد بين صفوف أبناء العالم ويزيل الفواصل بين العرب والعجم والأتراك والفرس ، وليؤلّف بين قلوب أبناء الأُمّة الإسلامية على ظهر المعمورة ، وليهزم كلّ قوى الاستكبار ويحبط

مخطّطاتها . القوى الكبرى تريد فصل المسلمين عن بعضهم باسم القوميات التركية والكردية والعربية والفارسية ، بل تريد خلق العداء بين هذه الشعوب ، إنّ جميع المسلمين إخوة متساوون متعاضدون ، وعليهم الانضواء جميعاً تحت لواء الإسلام ، وراية التوحيد »[٣].

« صدّام جعل العروبة أساساً للتفاضل وهذه العروبة التي يدّعيها عفلق وصدّام مخالفة للموازين الإسلامية ومعارضة لضرورات الإسلام »[٤].

« اليوم ونحن في رحاب تقارب جميع المسلمين في العالم ، وتفاهم كلّ المذاهب الإسلامية لإنقاذ بلدانهم من براثن القوى الكبرى ، الشيطان الأكبر أمريكا دعا فراخه لإلقاء بذور التفرقة بين المسلمين بكلّ الحيل والوسائل ، وجرّ الأُمّة الإسلامية والإخوة في الإيمان إلى الاختلاف والعداء ، ليفتح السبيل إلى مزيد من النهب والهيمنة ... لقد أمر واحداً من أخبث العملاء الأمريكيين والشاه المقبور أن يجمع رجال إفتاء أهل السنّة وفقهائهم ، ليفتوا بكفر الإيرانيين الأعزّاء ، وفي ذات الوقت الذي تتصاعد فيه مساعي إيران الداعية لتوحيد الكلمة ورصّ الصفوف تحت لواء الإسلام والتوحيد بين جميع مسلمي العالم »[٥].

هذا غيض من فيض كلمات الإمام في الوحدة الإسلامية التي دعى إليها حتّى أواخر أيّام حياته الجهاديّة.

« يا مسلمي العالم ماذا دهاكم ؟ ! لقد استطعتم في صدر الإسلام بعددكم القليل أن تحطّموا القوى الكبرى ، وتشيّدوا صرح الأُمّة الإسلامية العظيمة . والآن وأنتم تقاربون المليار إنسان ، وتمتلكون الثروات التي بمقدورها أن تشكّل أكبر حربة في مواجهة العدوّ أصبحتم أذلاّء ضعفاء »[٦].

« الاتّحاد بوجه المستكبرين ، وهذا الاتّحاد لا يخلق تجميعاً عددياً للطاقات فحسب ، بل تخلق قوّة هائلة متفجّرة لا يستطيع الاستكبار العالمي أن يقف بوجهها ، والاتّحاد فريضة دينيّة أكدّ عليها القرآن مراراً ، وأهميّتها تتصاعد في هذه المرحلة الزمنية التي يعيش فيها المسلمون متفرّقين مشتّتين تحت السيطرة المباشرة وغير المباشرة لعالم المستكبرين ، الأقطار الإسلامية بعدد سكّانها البالغ مليار إنسان وبثرواتها الطائلة بما فيها بحار البترول التي تفيض الحياة في شرايين القوى الكبرى ، قد حباها الله بأحكام القرآن وتعاليم النبيّ الأكرم العبادية والسياسية التي تحثّ المسلمين على الاعتصام بحبل الله ونبذ التفرقة والتمزّق »[٧].

« نحن نريد أن تعيش جميع الأقاليم الإسلامية في جوّ تسوده أحكام الإسلام ويرتبط الشعب فيها بحكومته بروابط الوئام ، ويعيش الجميع قلباً واحداً ، وتضحى البلدان الإسلامية يداً واحدة كي لا تتعرّض بضّ . لقد رأيتم كيف استطاع الشعب الإيراني أن يهزم أعتى قوّة كبرى باتّحاده ، ونحن نستهدف اتّحاد مليار مسلم في العالم ، إذ لو اتّحدوا لما بقيت قضيّة القدس ، ولا قضيّة أفغانستان ولا القضايا الأخرى . ولو كفّ وعّاظ السلاطين عنّا شرّهم ، وكفّوا أيديهم عن التعرّض لوحدتنا

، فسننتصر إن شاء الله ، وستنتصر القوى الإسلامية والبلدان الإسلامية . أسأل الله تعالى أن يعلي كلمة الإسلام والمسلمين وأن يمنّ على هذه الأُمّة بوحدة الكلمة »[٨].

« هيّا يا شعوب العالم المستضعفة جميعاً انهضي واستردّي حقّكِ ولا تخافي عربدات الأقوياء ، لأنّ الله معكِ والأرض إرث لكِ ، ووعد الله لا يتخلّف ، أسأل الله جلّ وعلا أن ينصر المحرومين ويوحّد كلمة أهل الحقّ »[٩].

عودٌ على بدء :

الوحدة في مفهومها اللغوي يقابلها الكثرة ، كما يقابلها الإثنينيّة ، وتارةً يقابل الكثرة القلّة ، ولازم الكثرة الاختلاف والتفرّق والتمايز.

وعند الحكماء والفلاسفة إنّما الإثنينية والكثرة ، لا بدّ فيهما ممّا به الاشتراك وممّا به الامتياز ، فكلّ اثنين وكثرة لا بدّ فيهما ممّا به الاشتراك ومن الوحدة ، كما لا بدّ فيهما ممّا به التمايز ، فكلّ واحد يمتاز عن الآخر ، وإلاّ لما كانت الإثنينية والكثرة . توضيح ذلك بالمثال : فإنّ الاصبعين في راحة الإنسان إنّما هما اثنان باعتبار أنّ بينهما ما به الاشتراك وهي راحة اليد ، فهما يشتركان فيها ، كما بينهما ما به الامتياز كالطول ، فأحدهما أطول من الآخر ، فالكثير ينتهي إلى الوحدة ، والأعداد تنتهي إلى الواحد ، والأشكال والحروف تنتهي إلى النقطة ، والنقطة بسيطة في جوهرها ومفهومها ، وهي من الوحدة الحقيقيّة ـ إن صحّ التعبير ـ .

ثمّ الوحدة مقول بالتشكيك ، والكلّي المشكّك ، له مراتب طولية وعرضيّة ، واختلاف المراتب بالأوّلية أو الأولويّة أو الشدّة والضعف ، فنهاية الوحدة هي الوحدة المطلقة الحقيقية التي لا نهاية لها ، وهي في ذات الله سبحانه وتعالى ، فهو الواحد الذي لا ثاني له ، ولا ضدّ ولا مثل ولا ندّ له . والأحد الذي لا تركيب فيه ، فماهيّته إنّيته . فالوحدة المطلقة تتجلّى في مقام الواحديّة والأحديّة في الله سبحانه وتعالى ، فهو الواحد الأحد ، وما سواه عزّ وجلّ ، فإنّ الوحدة فيه مجازية ومحدودة ومشوبة بالاختلاف والتركيب الحقيقي في ماهيّته ، والمجاز قنطرة الحقيقة ، فمن الوحدة المجازيّة نصل إلى الوحدة الحقيقية المطلقة . فما سوى الله سبحانه فيه الاختلاف والكثرة والإثنينية.

وفي كلّ اثنين لا بدّ ما بيه الاشتراك ومابه الامتياز ، فالوحدة المجازية في مقام ما به الاشتراك والكثرة الحقيقية في مقام ما به الامتياز . ولا بدّ ـ باللابدّية العقليّة ـ من الاختلاف فيما سوى الله سبحانه حقيقة . ففي الكون لا بدّ من ضرورة الاختلاف الكوني ، فلا بدّ من النهار ليكون معاشاً ، ولا بدّ من الليل ليكون سكناً وسباتاً ، ولا بدّ من الفصول الأربعة ، وما شابه ذلك من الاختلاف المنظّم في هذا الكون الوسيع.

وكذلك لا بدّ من الاختلاف في المجتمع البشري ، للوصول إلى الوحدة وما هو الأفضل والصواب ، ففي الاقتصاد لا بدّ من تضارب الآراء

والأفكار حتّى الوصول إلى الصحيح والسالم ، وكذلك المجالات الأُخرى في الحياة . ولكن لا بدّ من الوحدة أيضاً ، لمقتضيات الأحوال والظروف الخاصّة.

وفي عصرنا الراهن ندعو المسلمين جميعاً ـ سنّةً وشيعة ـ إلى الوحدة الإسلامية ، تجمعنا المشتركات ـ وما به الاشتراك ـ ومن أهمّها في العقيدة أصل التوحيد والإيمان بخاتم النبيين محمّد (صلى الله عليه وآله) وبكتاب الله الكريم ، فإنّ ربّنا واحد لا شريك له ، ونبيّنا محمّد (صلى الله عليه وآله) ، وكتابنا القرآن الكريم.

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نكون مع الصادقين في قوله :

(وَكونوا مَعَ الصَّادِقينَ)[١٠].

والصادقون هم أصحاب المنطق والبرهان ، لقوله تعالى :

(هاتوا بُرْهانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ)[١١].

فالمذاهب كلّها تدّعي أ نّها الفرقة الناجية ، ولكن لا بدّ في المعتقدات والسلوك والإيمان بصحّة مذهبه وطريقته وصراطه من دليل وبرهان من الله ورسوله ، فقفوهم إنّهم مسؤولون ، وما أن يوضع الإنسان في لحده وقبره ، إلاّ ويسأل من ربّك ؟ ومن نبيّك ؟ ومن إمامك ؟ فإنّه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية ـ كما ورد في الخبر النبويّ الشريف المستفيض عند الفريقين السنّة والشيعة ـ فكلّ مسلم في عقيدته وشرعه ومناسكه ونظامه في الحياة ، يكون مسؤولا يوم القيامة يوم الكشف الأتمّ ، تنكشف الحقائق كما هي ، وبصرك اليوم حديد ونافذ يرى ملكوت الأشياء.

وتعدّد المذاهب والفرقة والشقاق إنّما هو من الفتنة والامتحان ، وإن كان منشأه من عمل الشيطان الرجيم ، فإنّه أقسم بعزّة الله سبحانه :

(لأغْوِيَنَّهُمْ أجْمَعينَ إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمخْلَصينَ)[١٢].

وفي الخبر الشريف : الناس كلّهم هلكى إلاّ العلماء ، والعلماء كلّهم هلكى إلاّ العاملون ، والعاملون كلّهم هلكى إلاّ المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم.

فالفرقة الناجية هي الصفوة المخلصة ، ولا نستوحش في طريق الحقّ من قلّة أهله ـ كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهجه ـ .

وأمّا في الدنيا فلا بدّ من الوحدة بين المسلمين ، كما فعل ذلك رسول الإسلام محمّد (صلى الله عليه وآله) . وإذا ورد عنه « اختلاف أُمّتي رحمة » ، فقد فسّر لنا ذلك الإمام (عليه السلام) : إنّ الاختلاف بمعنى التزاور ، وأن يختلف المسلم على أخيه المسلم في الزيارة ، لا بمعنى الشقاق والفرقة ، ويأتي الاختلاف أيضاً بمعنى

طلب العلم.

« فعن عبد المؤمن الأنصاري ، قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إنّ قوماً رووا أنّ رسول الله قال : اختلاف أُمّتي رحمة . فقال : صدقوا . قلت : إن كان اختلاف رحمة فاجتماعهم عذاب ؟ قال : ليس حيث ذهبت وذهبوا ، إنّما أراد قول الله عزّ وجلّ : (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَة مِنْهُمْ طائِفَةٌ) فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله ويختلفوا إليه فيتعلّموا ، ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم ، إنّما أراد اختلافهم من البلدان ، لا اختلافاً في دين الله ، إنّما الدين واحد[١٣].

هذا وقد ورد في الأخبار العلاجيّة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) في الأخبار المتعارضة أن نأخذ ما وافق كتاب الله سبحانه ، وما اشتهر بين أصحابنا ، وما خالف من يخالفنا ، فإنّما الرشد في مقام العمل الفردي والشخصي وفي العبادات في ذلك ، فعقيدتنا أنّ ما بأيدينا هو الحقّ ، وإذا ورد في أخبارنا الخاصّة عن أهل البيت (عليهم السلام)في مقام علاج الروايات الواردة عنهم المتعارضة « أنّ الرشد في مخالفتهم » ، فإنّ هذا لا يعني أن نخالفهم ، ونخلق المشاكل في الدول الإسلامية ، حتّى يكون السيف هو الحاكم بيننا ، ومن ثمّ القتل والنهب.

الحقيقة ، إنّما المقصود متابعة الحقّ ، وإذا ورد ما يوافق غيرنا وهو من الحقّ فإنّه نتبعه ، فإنّ الرشد أن نخالف الباطل في مقام العمل العبادي ، وأمّا في مقام القضايا الاجتماعية وحسن المعاشرة والتعايش ، فناهيك الروايات الكثيرة التي تأمرنا أن نحسن المعاشرة معهم ونعيش بسلم وسلام ، فإنّ المسلم ـ من سلم المسلمون من يده ولسانه ـ وأن نحضر صلاتهم وجنائزهم ، وأن نكون لأئمتنا (عليهم السلام)زين ، حتّى يجعلوا الناس أماناتهم عندنا من خلال صدقنا وإيماننا وحسن معاشرتنا ، حتّى يقال رحم الله جعفر بن محمّد الصادق ، كيف أدّب أصحابه وشيعته.

وكان الأمير (عليه السلام) يوصي ولده الحسن (عليه السلام) أن يحسن معاشرته ومجالسته مع اليهودي : « وإذا جالست اليهودي فأحسن مجالسته » ، فبالأولوية أن نُحسن المعاشرة مع كلّ المذاهب الإسلامية.

وهل يجوز لواحد من المسلمين أن يختلف مع أخيه المسلم من أيّ مذهب كان ، والعدوّ يغزوه في عُقر داره ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) في نهجه يقول : « ذُلّ قومٌ غزُوا في عُقر دارهم ».

أما حان للمسلم الغيور على دينه وإسلامه أن يتّحد مع أخيه المؤمن ، فإنّ المسلمون يدٌ واحدةٌ على مَن سواهم ، وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ اشتكى الجسد كلّه ، ومن سمع يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم[١٤] ؟ ! !

متى يتخلّق المسلم الرسالي بأخلاق نبيّه الأكرم :

(لَكُمْ في رَسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[١٥].

ويراعي شعور المسلمين ويدع التناحر والتنازع ليجابه عدوّه المشترك ، كالصهاينة العتاة المردة أبناء الكلاب والخنازير ؟ ! !

مَن مِن المسلمين لبّى دعوة الله في قوله تعالى :

(وَاعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلا تَفَرَّقوا)[١٦].

فمن أهمّ العوامل المشتركة بين المسلمين في سلوكهم هي الأخلاق الحميدة ، فنقتدي ونتأسّى برسول الإسلام وهديه ، فإنّ الأخلاق المحمّدية بنظري من أفضل
الأُصول الأوّلية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية ، فإنّه كان يداري الناس حتّى الأعداء والمنافقين حتّى مدحه الله في قوله :

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُق عَظيم)[١٧].

وكان يقول (صلى الله عليه وآله) : أمرني الله بمداراة الناس كما أمرني بالفرائض.

وكما كان يجلس لصهره وأخيه وابن عمّه أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) كان يجلس لباقي الصحابة وفيهم الفاسق والمنافق ، والتأريخ يشهد بذلك.

وإذا قيل إنّما فعل ذلك ليشتدّ عود الإسلام وتقوى شوكته ، لأ نّه كان غريباً ـ آنذاك ـ فنقول : قد أخبرنا النبيّ الأعظم في قوله : سيعود الإسلام غريباً كما بُدء غريباً ، ويومنا هذا يوم غربة الإسلام المحمّدي الأصيل.

فأيّ بلد يحكم فيه الإسلام بكلّ قوانينه وأحكامه ؟ وما أكثر البلاد الإسلاميّة التي تحكمها السياسات الطاغوتيّة ، وعملاء الاستعمار ، والاقتصاد الربوي ، والقوّة العسكريّة الأجنبيّة ، والثقافة المنحطّة الغربيّة ... أليس هذا يوم غربة الإسلام الأصيل ؟ ! !

ثمّ يا تُرى من ينتفع من اختلافنا ؟ أليس أعداء الإسلام ؟ أليس الاستعمار وأعداء المسلمين زرعوا الخلاف في صفوفهم ، ووحدتهم لنهب ثرواتهم وليسودوهم ، تبعاً لسياسة (فرّق تسد) الاستعمارية.

أما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما اختلفت أُمّة بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها[١٨].

أما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : احذروا ما نزل بالأُمم قبلكم من المثلات
سوء الأفعال وذميم الأعمال فتذكّروا في الخير والشرّ أحوالهم واحذروا أن تكونوا أمثالهم . فإذا تفكّرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم وزاحت الأعداء له عنهم ، ومدّت العافية به عليهم وانقادت النعمة له معهم ، ووصلت الكرامة عليه حبلهم من

الاجتناب للفرقة واللزوم للألفة والتحاضّ عليها والتواصي بها . واجتنبوا كلّ أمر كسر فِقرتهم ، وأوهن منّتهم ، من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الأيدي . وتدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم ... فانظروا كيف كانوا ، حيث كانت الأملاء مجتمعة ، والأهواء مؤتلفة ، والقلوب معتدلة ، والأيدي مترادفة ، والسيوف متناصرة ، والبصائر نافذة ، والعزائم واحدة . ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين وملوكاً على رقاب العالمين ؟ ! فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أُمورهم حين وقعت الفرقة وتشتّت الألفة واختلفت الكلمة والأفئدة ، وتشعّبوا مختلفين وتفرّقوا متحاربين ، قد خلع الله عنهم لباس كرامته ، وسلبهم غضارة نعمته ، وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين[١٩].

وقال (عليه السلام) : إنّ الله سبحانه لم يعطِ أحداً بفرقة خيراً ممّن مضى ولا ممّن بقي.

إنّ الشيطان يسنّي لكم طرقه ، ويريد أن يحلّ دينكم عقدةً عقدةً ، ويعطيكم بالجماعة الفرقة ، وبالفرقة الفتنة ، فاصدقوا عن نزاعاته ونفثاته.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا تختلفوا فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا.

أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرّقين ؟ إنّما هلك من كان قبلكم الفُرقة[٢٠].

أتعلم أ يّها القارئ الكريم إنّما الاختلاف عذاب من الله سبحانه لقوله تعالى :

(قُلْ هُوَ القادِرُ عَلى أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ أوْ يُلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْض)[٢١].

قال الإمام الباقر (عليه السلام) ـ في قوله (أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً) ـ : وهو اختلاف في الدين وطعن بعضكم على بعض (وَيُذيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْض) وهو أن يقتل بعضكم بعضاً ، وكلّ هذا في أهل القبلة.

وإن سألت عن سبب الفرقة فقد قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : إنّما أنتم إخوان على دين الله ، ما فرّق بينكم إلاّ خبث السرائر وسوء الضمائر ، فلا تزاورون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادّون.

« لو سكت الجاهل ما اختلف الناس ».

« سبب الفرقة الاختلاف ».

وكفانا في الأخلاق المحمّدية ، وتأثيرها في الوحدة الإسلاميّة ، دعاء (مكارم الأخلاق) لحفيده زين العابدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في صحيفته السجّادية جاء فيها : « ... اللهمّ صلِّ

على محمّد وآله ، وسدّدني لأن أعارض من غشّني بالنصح وأجزي من هجرني بالبرّ وأُثيب من حرمني بالبذل وأُكافي من قطعني بالصلة وأُخالف من اغتابني إلى حُسن الذكر ، وأن أشكر الحسنة وأغضي عن السيّئة . اللهمّ صلِّ على محمّد وآله وحلِّني بحلّية الصالحين وألبسني زينة المتّقين في بسط العدل وكظم الغيظ وإطفاء النائرة وضمّ أهل الفرقة ـ وهذه من آيات الوحدة الإسلامية من لسان الإمام السجّاد (عليه السلام) ـ وإصلاح ذات البين وإفشاء العارفة وستر العائبة ولين العريكة وخفض الجناح وحسن السيرة وسكون الريح وطيب المخالفة والسبق إلى الفضيلة وإيثار التفضّل وترك التعيير والإفضال على غير المستحقّ ، والقول بالحقّ وإن عزّ ، واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي ، وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة ولزوم الجماعة ورفض أهل البدع ومستعملي الرأي المخترع ... ».

ولا يخفى أنّ هناك المئات من الأدلّة والشواهد القرآنية والروائية وسيرة النبيّ الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) وأصحابه الأبرار رضي الله عنهم ، وكيف كان بعضهم يتنازل عن حقوقه الشخصيّة حفاظاً على الوحدة الإسلامية ، ولنا فيهم القدوة والأُسوة الحسنة ، والاختلاف في يومنا هذا بين السنّة والشيعة إنّما هي ضجّة مفتعلة ، يطبّل لها الاستعمار ، ويروّج لها الاستكبار ، وعلى كلّ مسلم واع رسالي أن يفنّد مخطّطاتهم ، ويتّحد مع أخيه المسلم في كلّ أقطار الأرض.

شعاره (الوحدة الإسلامية) وسلوكه (الأخلاق المحمّدية) ويتلافى نقطة الضعف الرئيسية في موقف المسلمين تجاه أعدائهم ، وهي تتبلور في اختلافهم وتفرّقهم وتفكّك أواصر الوحدة والمحبّة والمودّة . ولا بدّ لنا من احترام الآراء ، والاحترام المتبادل بين المسلمين ، وإبراز المشتركات والقضايا الرئيسية بين المسلمين ، وإعطاء الحريّة ، فإنّ المسلم من حقّه أن يمارس حريته وحقوقه السياسية والمدنية ، فيمكنه أن يعبّر عن نقده وآرائه وفهمه للحياة . وذلك من خلال الأخلاق الفاضلة ، التي هي عبارة عن مجموعة من المبادئ التي ينبغي أن يجري السلوك الإنساني على مقتضاها ، فترسم طريق السلوك الحميد ، وتحدّد أهدافه وبواعثه . فيكون مستقيماً في قصده وفعله ، بعيداً عن الهوى واتّباع النفس الأمّارة بالسوء ، يتعلّم ذلك من كتاب الله وسنّة نبيّه وآله الأطهار وصحبه الأخيار ، والعقل والمشاهدة والفطرة السليمة وجوهر الإنسانية.

فالأخلاق الإسلامية دورها في تحكيم الوحدة ممّا لا ريب فيه ، ومذهبنا يأمرنا بالاعتصام والاتّحاد من عدّة منطلقات ، متّخذاً من القرآن الكريم شعاراً له عملياً ، لنكون قوّة واحدة لإبراز الكلمة الواحدة أمام العدوّ المشترك الواحد ـ والكفر ملّة واحدة ـ الذي بات يهدّد كياننا الإسلامي . وأنّ الكثير من الموضوعات والحيثيّات والمعتقدات ، هي القاسم المشترك بين المذاهب ، في أُصول الدين كالوحدانية وصفات الربوبيّة ، وفروع الدين كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ ، فالكعبة واحدة ، وشعائرها موحّدة ، والموقف واحد . كما أنّ العمل الجهادي في عصر الصحوة الإسلامية والأهداف المتمثّلة بردع الظالم ومحاربة الطغاة ، سواء بالقلم أو بالسيف أو بكليهما من المنطلقات التي تُحتّم على المسلمين وعلمائهم أن يبادروا بخطوات إصلاحية الوحدة بين

المذاهب الإسلامية.

فالوحدة الصادقة مطلوبة ، وبها يتحقّق حلم المسلمين في تكوين دولة واحدة ، يتزعّمها العلماء المجاهدون والقادة الصالحون ، لنعيد مجدنا وعزّتنا ، ونظهر قوّتنا ، في العُدّة والعدد ، لنرهب بها أعداء الله.

وعلينا أن نشمّر عن سواعد الجدّ ، لنبدأ الحياة السعيدة والعيش الرغيد تحت ظلّ الإسلام من جديد ، فعدوّنا المشترك جاء إلى بلادنا مستغلا ثرواتنا ، وداس مقدّساتنا ، وخلّف فينا شرارنا يتأمّرون ويتآمرون علينا ، متّبعين سياسة الفرقة وزرع الخصام.

وقد بادرت الجمهورية الإسلامية منذ يومها الأوّل إلى الوحدة الإسلامية من منطلق العقل والكتاب والقوّة والاقتدار ، لا الضعف والافتقار والإجبار . واعتبرت (١٢ ـ ١٧ ربيع الأوّل) من كلّ عام أُسبوعاً للوحدة بين المسلمين كافّة ، تقيم فيه المؤتمرات وتستضيف علماء المذاهب والشخصيات والحركات الإسلامية لمدارسة أُمور المسلمين وحلّ مشاكلهم العالمية ، وتجدّد خطوة إلى التقدّم والازدهار ، وتضع خطّة أُخرى على ما يستجدّ على الساحة الإسلامية.

فبارك الله في المساعي الحميدة والخطوات المجيدة ، وعلى الدول الإسلامية أن تقتدي بفعلها الحسن ، والأرض يرثها عباد الله الصالحون ، والعاقبة للمتّقين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين [٢٢].

العبد عادل العلوي

قم المقدّسة

المؤسّسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد

١٥ / محرّم الحرام / ١٤١٥ هـ

---

[١]المصدر : ١١ ، من حديث القائد لأعضاء مؤتمر القدس ٢٧ رمضان ١٤٠٠ هـ.

[٢]المصدر : ١٣ ، من بيان الإمام إلى الحجّاج سنة ١٤٠٠ هـ.

[٣]المصدر نفسه ، من حديث الإمام لعشائر خوزستان سنة ١٤٠١ هـ.

[٤]المصدر : ١٤.

[٥]المصدر : ١٥.

[٦]المصدر : ٣٤ ، من نداء الإمام للحجّاج ١٣٩٩ هـ.

[٧]من رسالة الإمام إلى خالد بن عبد العزيز ١٤٠١ هـ.

[٨]من حديث الإمام لسفراء البلدان الإسلامية ١٤٠٠ هـ.

[٩]من حديث القائد في مطلع القرن الخامس.

[١٠]التوبة : ١١٩.

[١١]البقرة : ١١١.

[١٢]الحجر : ٤٠.

[١٣]ميزان الحكمة ٣ : ٧٧.

[١٤]هذه مضامين روايات نبويّة اتّفق عليها الفريقان السنّة والشيعة.

[١٥]الأحزاب : ٢١.

[١٦]آل عمران : ١٠٤.

[١٧]القلم : ٤.

[١٨]ميزان الحكمة ٣ : ٧٤ ، عن كنز العمّال ، الحديث ٩٢٩.

[١٩]نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ القاصعة.

[٢٠]ميزان الحكمة ٣ : ٧٥.

[٢١]الأنعام : ٦٥.

[٢٢]طبع هذا الموضوع أوّلا من قِبَل المؤتمر العالمي السابع للوحدة الإسلامية المنعقد في طهران ، ربيع الأوّل سنة ١٤١٥ ، فارتأينا تجديد طبعه مع تنقيح وتصحيح من المؤلّف ، لتعمّ الفائدة ، ويتمّ المطلوب ، ومن الله التوفيق والسداد.

الناشر